

حيوية الخطاب الشعرة عند السياب  
إلى الخرافات التي ما تزال تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءاً من هذا العالم، عاد إليها ليستعملها رموزاً، وليبنى منها عوامل يتحدّى بها منطق الذهب والحديد<sup>(١)</sup>.

ما يهمننا في هذا الدفاع هو ما يتجلى فيه من شعور السياب بالحاجة الملحة إلى صناعة الرّمز من المواد الأسطورية أو غيرها، نظراً لأنّ العناصر التعبيرية المباشرة قد فقدت فاعليتها، وانسحبت إلى هامش الحياة. ومن ثمّ فإنّ الأسطورة - والأسطورة التي تتمثّل في تحويل العادي إلى أسطورة - هما اللذان يعيدان الشّعر إلى قلب الحياة النابضة بالحرارة وبراعة البكارة. ودعك ممّا يشفّ عنه تحليل السياب من صبغة مثاليّة واضحة، عندما يسمّ عالم اليوم بالمادّيّة والفقر الرّوحى والخلوّ من الشّعر، فهذا شأن الشعراء في إحساسهم بضرورة رسالتهم للكون، وإلّا فمتى كان هذا العالم مفعماً بالشّعر ومحكوماً بهيمنة الرّوح النقى الخالص لدى من يعيش قبل أن يحيله التّاريخ إلى أسطورة؟ أقول : دعك من ذلك ولنتأمّل نقدياً طريقته في بناء رموزه واصطناع أساطيره.

ومادمننا قد مضينا في قراءة الحداول الإحصائيّة والاهتمام باستخلاص نتائجها الكليّة الدالّة فإنّ بوسعنا الإشارة إلى أنّ جملة العناصر الأسطورية التي يوظّفها السيّاب ابتداء من ديوانه الناضج "أنشودة المطر" تبلغ (٣٦) عنصراً يتكرّر ذكرها (٢١٧) مرّة. وأنّ الإشارة إلى المسيح والصلب تتمّع بأعلى نسبة تكرار في هذه الرّموز إذا تبلغ (٦٥) مرّة، تليها الإشارة إلى تمّوز وعشتار التي تصل إلى (٤١) مرّة، ثمّ قابيل وهابيل التي تستخدم (٢٤) مرّة، والسندباد الذي يتكرّر (١٤) مرّة. ومعنى هذا أنّ الانطباع الشائع عن إسراف السيّاب في استخدام الأساطير الغربيّة دون العربيّة الشرقيّة غير صحيح. وقد أفردت بحوث أكاديميّة لتوظيف السيّاب للأسطورة تحفل بكثير من التفاصيل التي تغنيانا عن الإفاضة في هذا الجانب، وتدفعنا إلى الاهتمام بما يميّز الأسلوب التعبيري به من خلق الأساطير الخاصّة - وهو ما نسمّيه بعمليات الأسطورة - ضمن آليات الترميز الشعري العامّ.

(١) انظر : مجلّة شعر، العدد الثالث، السنة الأولى، نقلاً عن مقدمة أعماله الكاملة، الجزء الأوّل بيروت ١٩٧١ص.